الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية

الاربعاء ١٦ جمـادى الاولـى ١٤٢٩ هـ ٢١ مايو ٢٠٠٨ العدد ١٠٧٦٧

في شأن الذي جرى في لبنان!



عبد المنعم سعيد

مقالات سابقة للكاتب

- الاستثناء العربي مجددا!
- ما بعد التهدئة في الشرق الأوسط ؟
- الاستراتيجية في زمن الوفرة!
- المعنى الاستراتيجي لنفط مرتفع الثمن؟!
- حماس ومصر والقضية الفلسطينية
- نظام عربي جديد جداً؟!
- على أبواب قمة دمشق؟!
- السباحة في بحر الفضائيات العربية!
- حديث الصمت العربي؟!
- خواطر حول عملية اغتيال عماد مغنية؟!

إبحث في مقالات الكتاب

كان العشاء ممتدا على مائدة السفير هشام بدر مساعد وزير الخارجية المصري، والسفير السابق في اليابان، والسفير المقبل في جنيف، على شرف الدكتور تاتسو أريما المفوض العام لليابان في قضية السلام في الشرق الأوسط الذي كان في زيارة للقاهرة للاستطلاع والاستكشاف كما هو الحال مع معظم المفوضين أو المبعوثين أو السفراء فوق العادة لحل قضية الشرق الأوسط التي لم تحل خلال ستة عقود، ولا يبدو أنه سوف يكون لها حل خلال العقود الستة المقبلة !!. وكان حضور اللقاء من اليابانيين والمصريين ممثلين لأجهزة شتى مهتمة بقضية الشرق الأوسط الأزلية؛ ومع ذلك فإن «القضية» لم تستغرق وقتا كبيرا في النقاش، ربما لأن الأطراف المعنية كانت يائسة، أو أنها تعتقد أن الحل يوجد في مكان آخر لا يخص العلاقات المصرية ــ اليابانية. وفيما عدا الجهد الياباني لخلق ممر للرخاء والتنمية في الضفة الغربية من خلال حدائق صناعية؛ فإن الجميع كانوا مستسلمين لفكرة انتظار ما الذي سيفعله بوش بشأن وعده للتوصل إلى تسوية للصراع الفلسطيني ــ الإسرائيلي قبل نهاية العام.

ومع هذا الاتجاه العام تداعت قضايا الشرق الأوسط الواحدة وراء الأخرى، إلا أن واحدة منها بدت كما لو كانت مثيرة للقلق بأكثر من الأخرى والمتعلقة بإمكانية قيام الولايات المتحدة، وحدها أو بالتحالف مع دول أخرى في المعسكر الغربي، بضرب إيران. وبالطبع كانت الحماقة الأمريكية في العراق حاضرة في أذهان الجميع، ونتائجها المرة محلقة بثمن فادح لتدخل غير محسوب العواقب، وبشكل ما كانت الشكوك قوية في حكمة ممكنة من الإدارة الأمريكية الحالية التي تلف أوراقها وترحل. وبالتأكيد فقد كان الصبر يوشك على النفاذ ليس فقط في واشنطن بل وفي عواصم غربية أخرى؛ وكان الإعلان الأمريكي عن قيام إسرائيل بتدمير مفاعل نووي قدمته كوريا الشمالية لسوريا بالتعاون مع الولايات المتحدة وتركيا إشارة إلى أنه لا توجد موانع نفسية من اتخاذ قرارات صعبة، وجراحية.

وبدون الدخول في كثير من التفاصيل فقد كان هناك إجماع بين الحاضرين على صعوبة قيام الولايات المتحدة بهذه المهمة لأسباب لن تغيب على فطنة الكثيرين: فالتأييد لجورج بوش قليل، وهناك انتخابات أمريكية، والشعب الأمريكي ليس على استعداد لمغامرة عسكرية جديدة بينما المغامرات العسكرية الأخرى في العراق وأفغانستان لم تنته بعد، والقوات الأمريكية منتشرة بدون عمق استراتيجي، والحالة الإيرانية من الناحية العسكرية والإستراتيجية أكثر تعقيدا بكثير من الحالة العراقية. وهكذا سارت المناقشات ذهابا وإيابا تقطع بأنه على الأقل فإن المسألة كلها سوف تكون قضية الرئيس الأمريكي القادم والذي سيكون عليه أن يتخذ قرارات صعبة في القضية.

وبالنسبة لي، وكان هذا ما طرحته، هو أن النقاش قد دار حول إمكانية قيام واشنطن، منفردة أو مع حلفائها، بضرب إيران وشل إمكانياتها النووية، بينما هناك احتمال آخر هو أن تقوم إيران بضرب الولايات المتحدة، أو بمعنى أدق ضرب مصالحها الأساسية في الشرق الأوسط. وكانت الحجج التي طرحتها هى أن إيران باعتبارها دولة لا تزال نامية لن تقوم بضرب أمريكا في عقر دارها، ولكنها تستطيع إحباط الوجود والنفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط بطرق مباشرة أو غير مباشرة، وعن طريق جهودها أو جهود حلفائها، من أجل بسط هيمنتها ونفوذها السياسي والآيديولوجي. ومن ناحية فإن إيران زادت نفوذها داخل الساحة العراقية بأشكال شتى وزادت من ضغوطها على القوات الأمريكية إلى الدرجة التي جعلت الجنرال دافيد بتريوس قائد القوات الأمريكية في العراق يطلب وقف الخفض المقرر للقوات الأمريكية في شهر يوليو المقبل. ومن ناحية أخرى فقد أخذت القوارب الإيرانية السريعة في الضغط على قطع البحرية الأمريكية في الخليج من خلال مناوشات للقرب والبعد جعلتها تأخذ إجراءات احترازية جديدة. صحيح أنه لا يوجد تكافؤ في القوة النيرانية بين الطرفين إلا أن التحرك أبقى البحرية الأمريكية تحت ضغط لا تحبه. ولكن الأخطر جاء ضغطا من حلفاء إيران حينما انفلت العيار في غزة على الحدود مع مصر حتى بات الفلسطينيون ومأساتهم قنبلة بشرية يمكن استخدامها للضغط والابتزاز المعنوي في قضية عربية حساسة. ولم يكن ضرب حماس للمعابر التي توفر الغذاء والوقود لقطاع غزة إلا حفاظا على حالة محتقنة يجري فيها التلاعب بعبارات «التهدئة» ولكن الواقع يقود إلى مواجهات مسلحة تبقى المنطقة مشتعلة وغير قابله لحلول أو تسوية.

إلا أن اخطر نقاط المواجهة فقد كانت لبنان التي تعتبرها إيران لأسباب آيديولوجية وفقهية جزءا عضويا منها، وفيها يوجد أكبر استثمار مالي وتسليحي لإيران ممثلا في حزب الله. وساعة العشاء مع المفوض الياباني كان قد تم الإعلان عن شبكة سلاح الإشارة للحزب، والكاميرات التي وضعت لمراقبة الطائرات الخاصة، وتحول مطار

بيروت إلى منفذ إيراني كامل بالسلاح والاتصال، وأحيانا السفر. وكانت الساحة اللبنانية جاهزة تماما لإيران لكي تأخذ خطوة أخرى ليس فقط ضد المصالح الأمريكية في المنطقة، بل أيضا ضد مصالح الدول العربية المعتدلة، وضد استقرار وأمن الشرق الأوسط كله.

وانتهى العشاء، وبقية القصة وتداعياتها معروفة من أول قرارات الحكومة اللبنانية، وحتى تراجعها عن هذه القرارات بعد أن نزل حزب الله إلى الشوارع في بيروت وفي الشمال والجنوب، وقيامه بسلسلة من العمليات العنيفة للترويع وبث الخوف واستعراض العضلات. ولعل الشيخ حسن نصر الله كان معبرا عن إيران نفسها عندما قال إنه مستعد لتحدي العالم أجمع من أجل إبقاء سيطرته على مطار بيروت، وعودة موظفه إلى قيادة المطار، حتى ولو احترقت لبنان أو الشرق الأوسط كله. وكما يحدث في مثل هذه الحالات فإن القوة فرضت نفسها بحسم، والضعف أعلن عن نفسه بوضوح. ولم تكن المعركة هذه المرة مع إسرائيل حيث يترجم «الصمود» إلى انتصار، ويصبح تدمير لبنان مع بقاء حزب الله نصرا؛ ولكنها كانت مع اللبنانيين أنفسهم أو مع غالبيتهم على وجه الدقة. وهكذا ترجم توازن القوى نفسه في الواقع بين منتصر ومهزوم، وبين من أعد نفسه لهذه اللحظة وبين من ظن أن معركة حزب الله هي مع إسرائيل.

وبالطبع لم يكن في الأمر كثير من هذا، فالمعركة كانت معركة إيران من أجل توازن الشرق الأوسط الأمريكي ـــ الإيراني، وقد فازت إيران في هذه الجولة كما فازت العراق من قبل عندما قامت بغزوتها لإخضاع الكويت. وكانت المعركة من أجل التوازن في لبنان، وقد فاز حزب الله، تماما كما فازت منظمة حماس على الساحة الفلسطينية. وكان الفوز والانتصار في كل الحالات تحت غطاء دخان كثيف من الدعاية حول المشروع الوطني في مواجهة المشروع الأمريكي، وكان هذا الغطاء كافيا لغل أياد كثيرة عن العمل فمن الذي يريد أن يحسب على المعسكر الأمريكي صراحة أو ضمنا؟

ولكن القصة هكذا لم تنته بعد، فلا إيران ولا حزب الله ولا حماس يعرفون التوازنات الإستراتيجية الكبرى حتى ولو كانوا يعرفون ما هو أكثر من التوازنات الآيديولوجية العظمى. والشرارة التي أطلقتها إيران في أكثر من مكان في المنطقة ربما تقود إلى حرائق كثيرة، ولدى معظم المؤرخين فإن الحرب الأهلية الإسبانية كانت المقدمة الطبيعية للحرب العالمية الثانية، وربما كانت لبنان لا تماثل إسبانيا، ولكنها بالتأكيد سوف يكون لها نفس التأثير في الشرق الأوسط !!.

التعليـقـــات

د. هاشم الفلالى، «المملكة العربية السعودية»، ٢٠٠٨/٠٥/٢١

إن ما صلت إليه الاوضاع في لبنان هو من جراء حقب متتالية مليئة بالمشكلات التي لم تحل، والتي تركت وتفاقمت واصبح من المستحيل علاجها، وهذا هو ما يحدث الان وان ما تقوم به قطر من دعم في محاولة لاحتواء الازمة واصلاح ذات الشمل، هو من الامور المحمودة التي يجب بان تلاقي الاهتمام اللازم بها، والعمل على ان يكون هناك المزيد من هذا الدعم العربي في الازمة اللبنانية كباقي الازمات والقضايا العربية.

جيولوجي/ محمد شاكر محمد صالح، «المملكة العربية السعودية»، ٢٠٠٨/٠٥/٢١

أستاذ عبد المنعم إن الذي جرى في لبنان هو اغتيال للشرعية والنظام من خلال ميليشيات مسلحة مندفعة متهورة بقيادة نصر الله الذي اثبتت الأيام انه انسان اهوج متهور منفذ وذيل لأجندات خارجية تسعى الى تدمير هذا البلد على رؤوس اهله كما حدث في حرب العام الماضية والتي دمر فيها لبنان عن بكرة ابيها ومازالت البوم تنعي في خرائب لبنان للأن وميليشيات حزب الشيطان لم تنتصر في حركتها الأخيرة في احتلال بيروت والمطار بل هزمت اقصى هزيمة ولن يغفر التاريخ لنصر الله وعصابته هذه السقطة لأنه لافرق بينه وبين صدام وعصابته ايضا عندما احتل الكويت والكل يعلم ماذا حدث لصدام ولسوف يجني نصر الله حسابه ايضا مثلما حدث لصدام حسين.

عدنان حسين، «الكويت»، ٢٠٠٨/٠٥/٢١

الاستاذ عبد المنعم سعيد. استقراء رائع للنتائج المحتملة مع تواصل انتصار القوى الراديكالية في منطقتنا ولا زال الزحف مستمرا ولكن من حقنا ان نتسائل بعد ٧ سنوات من الحرب على الارهاب اين نحن الان وهل اصبحنا هدفا مباشرا لساحة الصراع في الحرب على الارهاب. من المؤكد ان الولايات المتحدة لم تحسم موضوع الارهاب لحد الان وقوته تتعاظم من خلال المتحقق ليس في لبنان فقط وانما فيما يمكن ان تحققه الخلايا النائمة التي منحت الان فرصة ايقاظها بعد سبات طويل عدا القوى التي تحركت في اكثر من مكان بالتزامن مع ما كان يجري في لبنان العالم العربي بما فيه من تناقضات يشجع كل الحركات الراديكالية على ان تمارس نشاطها على ارضه وهو ما يجري الان، السؤال هو هل فشل المشروع الامريكي للتغيير؟ من الصعب تحديد الاجابة الان ولكن الامتدادات التي تتحرك عليها المجموعات الارهابية تشير الى الاجابة بوضوح وقد تكون رهانات الديمقراطيين في حال فوزهم هو من حدد الاجابة حاليا ولكن في كل الاحوال على القوى الراديكالية الا تطمئن الى ما تحقق من انتصار في لبنان لان حزب الله ليس من يحدد نتائج الصراع وانما القرار الدولي الذي يسير بالاتجاه الصحيح الان.

غدير بن عبدالله، «المملكة العربية السعودية»، ٢٠٠٨/٠٥/٢١

الحرب الأهلية الاسبانية كانت معمل اختبار للحرب العالمية الثانية ، اما ايران فيبدوا انها تلعب بأوراقها بشكل ذكي حتى الأن فلم تتهور كثيرا وتضغط حيث يؤلم الضغط ، ولكن كثرة الدق تكسر اللحام، فمتى ينكسر اللحام هذا في علم الله.

محمد يوسف الجزائر، «الجزائر»، ٢٠٠٨/٠٥/٢١

نعم سيدي تحليلك هذا لايختلف فيه اثنان الولايات المتحدة لا تقدم على حماقة تودي الى مستنقع يفوق افغانستان والعراق وهي كما يعلم الجميع توجد الاعداء اذا خلت منهم الساحة الدولية اما في الوقت الراهن انها تبحث عن سبل للخروج وحفظ ماء وجهها.

حمد وصل الله الرحيلى، «المملكة العربية السعودية»، ٢٠٠٨/٠٥/٢١

تقصد أن تركيا تقتل القتيل وتمشي في جنازته، تتعاون مع العدوين ضد سوريا ثم تمثل دور الوسيط بين سوريا والدولة العبرية، وسوريا تنسى او تتناسى كعادتها إساءات الاقوياء، بالنسبة لحماس ما تكتبونه معشر الكتاب لا يعدو كونه تكهنات أو أن مصادركم من الطرف الآخر ، وأخيرا بالنسبة لإيران فأرى أنه لم يبذل جهد أو عمل حقيقي ضدها وربما تتكشف لنا حقائق مذهلة فيما لو تم شيئ من هذا القبيل ولا ننسى أنها محاصرة من الغرب لسنوات عديدة.

بريـد طبـاعـة تعليـق